﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

هذه الآية الكريمة تتناول أحداثا وقعت بعد غزوة أحد . . وفى غزوة أحد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . من الرماة ألا يغادروا مواقعهم عند سفح الجبل سواء إنتصر المسلمون أو انهزموا . . فلما بدأت بوادر النصر طمع الرماة فى الغنائم . . فخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزمهم الله . . ولكن الكفار لم يحققوا نصرا لأن النصر هو ان تحتل أرضا وتبقى .

هؤلاء الكفار بعد المعركة انطلقوا عائدين إلى مكة . . حتى ان المسلمين عندما خرجوا للقائهم فى اليوم التالى لم يجدوا أحدًا . . يهود المدينة إستغلوا هذا الحدث . . وعندما التقوا بحذيفة بن اليمان وطارق وغيرهما . . قالوا لهم إن كنتم مؤمنين حقا لماذا إنهزمتم فارجعوا إلى ديننا واتركوا دين محمد . . فقال لهم حذيفة ماذا يقول دينكم فى نقض العهد ؟ . . يقصد ما تقوله التوراة فى نقض اليهود ولعهودهم مع الله ومع موسى . . ثم قال انا لن انقض عهدى مع محمد ما حييت . . أما عمار فقال . . لقد آمنت بالله ربا وآمنت بمحمد رسولا وآمنت بالكتاب إماما وآمنت بالكعبة قبلة وآمنت بالمؤمنين إخوة وسأظل على هذا ما حييت .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله حذيفة وطارق بن ياسر فسر بذلك ولكن اليهود كانوا يستغلون ما حدث فى أحد ليهزوا العقيدة الإيمانية فى قلوب المسلمين كما استغلوا تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ليهزوا الإيمان فى القلوب وقالوا إذا كانت القبلة تجاه بيت المقدس باطلة فلماذا اتجهتم إليها ، وإذا كانت صحيحة فلماذا تركتموها ، فنزل قول الله تعالى : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم » .

انظر إلى دقة التعبير القرآنى فى قوله تعالى : « من أهل الكتاب » . . فكأن بعضهم فقط هم الذين كانوا يحاولون رد المؤمنين عن دينهم . . ولكن كانت هناك قلة تفكر فى الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام . . ولو أن الله جل جلاله حكم على كل أهل الكتاب لسد الطريق أمام هذه القلة أن يؤمنوا . . أى أن أهل الكتاب من اليهود يحبون أن يردوكم عن دينكم وهؤلاء هم الكثرة . . لأن الله تعالى قال : « ود كثير من أهل الكتاب » .

وقوله تعالى : « من بعد إيمانكم كفارا » . . كفارا بماذا ؟ . . بما آمنتم به أو بما يطلبه منكم دينكم . . وهم لا يفعلون ذلك عن مبدأ أو عقيدة أو لصالحكم ولكن : « حسدا من عند أنفسهم » . . فدينهم يأمرهم بعكس ذلك . . يأمرهم أن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . . ولذلك فهم لا ينفذون ماتأمرهم به التوراة حينما يرفضون الإيمان بالإسلام . . والذى يدعوهم إلى أن يحاولوا ردكم عن دينكم هو الحسد . . والحسد هو تمنى زوال النعمة عمن تكره . . وقوله تعالى : « حسدا من عند أنفسهم » . . أى هذه المسألة من ذواتهم لأنهم يحسدون المسلمين على نعمة الإيمان . . ويتمنون زوال هذه النعمة . . التى جعلت من المسلمين إخوانا متحابين متكاتفين مترابطين . . بينما هم شيع وأحزاب . . وهناك حسد يكون من منطق الدين وهذا مباح . . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فَسُلِّط على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس »[1] .

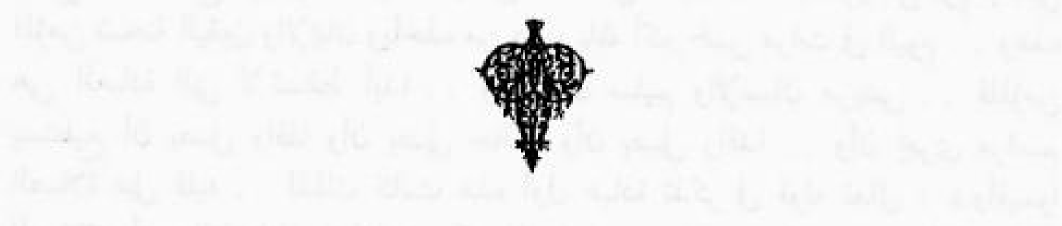
فكأن الحسد حرام فى غير هاتين الحالتين . . فكأن هؤلاء اليهود يحسدون المسلمين على دينهم . . وهذا الحسد من عند أنفسهم لا تقره التوراة ولا كتبهم . . وقوله سبحانه : « من بعد ما تبين لهم أنه الحق » . . أى بعد ما تأكدوا من التوراة من شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه النبى الخاتم .

وقوله تعالى : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » . . ما هو العفو وما هو الصفح ؟ . . يقال عفت الريح الأثر أى مسحته وأزالته . . فالإنسان حين

---

( ١ ) رواه البخارى فى العلم ومسلم فى قصر الصلاة وابن ماجة فى الزكاة وأحمد فى مسنده .

يمشى على الرمال تترك قدمه أثرا فتأتى الريح وتعفو الأثر أى تزيله .. ولذلك فإن العفو أن تمحو من نفسك أثر أى إساءة وكأنه لم يحدث شىء .. والصفح يعنى طى صفحات هذا الموضوع لا تجعله فى بالك ولا تجعله يشغلك .. وقوله تعالى : « حتى يأتى الله بأمره » .. أن هذا الوضع بالنسبة لليهود وما يفعلونه فى المؤمنين لن يستمر لأن الله سبحانه قد أعد لهم أمرا ولكن هذا الأمر لم يأت وقته ولا أوانه .. وعندما يأتى سيتغير كل شىء .. لذلك يقول الله للمؤمنين لن تظلوا هكذا .. بل يوم تأخذونهم فيه بجرائمهم ولن يكون هذا اليوم بعيدا .. عندما يقول الله سبحانه : « حتى يأتى الله بأمره » .. فلابد أن أمر الله آت .. لأن هذه قضية تتعلق بجوهر الإيمان كله .. فلا يقال أبدا حتى يأتى الله بأمره ثم لا يجىء هذا الأمر .. بل أمر الله بلاشك نافذ وسينصركم عليهم .. وقوله تعالى : « إن الله على كل شىء قدير » .. أن الله له طلاقة القدرة فى ملكه .. ولذلك إذا قال أنه سيأتى بأمر فسيتحقق هذا الأمر حتما وسيتم .. ولا توجد قدرة فى هذا الكون إلا قدرة الله سبحانه .. ولا قوة إلا قوته جل جلاله .. ولا فعل إلا ما أراد .



﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ١١٠

بعدأن بين الله سبحانه وتعالى أن أقصى أمانى أهل الكتاب أن يردونا كفارا ، وأن هذا حسدا منهم.أراد الله تبارك وتعالى أن يبين لنا ما الذى يكرهه أهل الكتاب .. وقال إن الذى يتعبهم ميزان العدل والحق الذى نتبعه .. منهج الله سبحانه وتعالى .. ولذلك يأمر الله المؤمنين أن يثبتوا ويتمسكوا بالإيمان ، وأن يقبلوا على التكليف فهذا أحسن رد عليهم .. والتكاليف التى جاء بها الإسلام منها تكليفات لا تتطلب إلا وقتا من الزمن وقليلا من الفعل كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

إن شهادة لا إله الا الله تقال مرة فى العمر .. والزكاة والصوم مرة كل عام .. والحج للمستطيع مرة فى العمر .. ولكن هناك من العبادات ما يتكرر كل يوم ليعطى المؤمن شحنة اليقين والإيمان ويأخذه من دنياه بالله أكبر خمس مرات فى اليوم .. وهذه هى العبادة التى لا تسقط أبدا .. والإنسان سليم والإنسان مريض .. فالمؤمن يستطيع أن يصلى واقفا وأن يصلى جالسا وأن يصلى راقدا .. وأن يجرى مراسم الصلاة على قلبه .. لذلك كانت هذه أول عبادة تذكر فى قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » أى والتفتوا إلى نداءات ربكم للصلاة .. وعندما يرتفع صوت المؤذن بقوله الله أكبر فهذه دعوة للإقبال على الله .. إقبال فى ساعة معلومة لتقفوا أمامه سبحانه وتعالى وتكونوا فى حضرته يعطيكم الله المدد .. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إذا حزبه أمر صلى )[١] .

ومعنى حزبه أمر .. أى ضاقت به أسبابه فلم يجد مخرجا ولا طريقا إلا أن يلجأ

---

( ١ ) رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة وفى رواية : كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

إلى الله . . إذا حدث هذا يتوضأ الإنسان ويصلى ركعتين غير الفريضة . . ثم يدعو ما يشاء فيفرج الله كربه . . إذن : « فأقيموا الصلاة » هى الرد المناسب على كل محاولاتهم ليسلبوكم دينكم . . ذلك أن هذا التكليف المقرر لإعلان الولاء الإيمانى لله كل يوم خمس مرات . . نترك كل ما فى الدنيا ونتجه إلى الله بالصلاة . . إنها عماد الدين وأساسه .

وقوله تعالى : « وآتوا الزكاة » . . ايتاء الزكاة لا يحدث إلا إذا كان لديهم ما هو زائد عن حاجتك . . فكأن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نضرب فى الأرض لنكسب حاجتنا وحاجة من نعول ونزيد . . وبذلك يخرج المسلمون من سيطرة اليهود الإقتصادية التى يستذلون بها المسلمين .

فالمؤمن حين يأتى الزكاة معناه أن حركته اتسعت لتشمل حاجته وحاجة غيره . . ولذلك حتى الفقير يجد فى الزائد فى أموال المسلمين ما يكفى حاجته . . فلا يذهب إلى اليهودى ليقترض بالربا . . ولذلك فالله سبحانه وتعالى يريد أن يتكامل المسلمون . . بحيث تكفى أموالهم غنيهم وفقيرهم والقادر على العمل منهم وغير القادر.والله تبارك وتعالى يزيد أموال المسلمين بأكثر مما يخرج منها من زكاة . . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله )[1] .

وقد سميت « الزكاة » لأنها فى ظاهرها نقص وفى حقيقتها زيادة . . والربا ظاهره زيادة وحقيقته نقص . . وفى ذلك يقول الله جل جلاله :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ ﴾

(من الآية ٢٧٦ سورة البقرة)

ثم يقول الحق سبحانه : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » . . إذن لابد أن يطمئن المؤمن لأن حركة حياته هى ثواب وأجر عند الله تبارك وتعالى . . فإذا

( ١ ) رواه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة .

صلى فله أجر وإذا زكى فله أجر ، وإذا تصدق فله أجر ، وإذا صام فله أجر ، وإذا حج فله أجر ، كل ما يفعله من منهج الله له أجر ، وليس أجرا بقدر العمل، بل أضعاف العمل .. وإقرأ قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾

( سورة البقرة )

وهكذا نعرف أن كل حركة فى منهج الله ليس فقط لها أجر عند الله سبحانه وتعالى .. ولكنه أجر مضاعف أضعافا مضاعفة .. وهو أجر ليس بقدرات البشر ولكنه بقدرة الله سبحانه .. ولذلك فهو ليس مضاعفا فقط فى عدد المرات ولكنه مضاعف فى القدرة أيضا .. فكأن كل إنسان غير مؤمن لا أجر له فى الآخرة .. وإذا أعطى فى الدنيا يُعطى عطاء المثل .. ولكن المؤمن وحده له عطاء الآخرة أضعافا مضاعفة .. وهو عطاء ليس زائلا كعطاء الدنيا ولكنه باق وخالد .

والخير الذى تفعله لن تدخره عندك أو عند من قد ينكره .. ويقول لا شيء لك عندى. ولكن الله سيدخره لك .. فانظر إلى الإطمئنان والعمل فى يد الله الأمينة ، وفى مشيئته التى لا يغفل عنها شيء ، وفى قدرته التى تضاعف أضعافا مضاعفة .. وتجده فى الوقت الذى تكون فى أحوج اللحظات إليه وهو وقت الحساب .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى : « والله بما تعملون بصير » .. أى لا تعتقد أن هناك شيئا يخفى على الله ، أو أن أحدا يستطيع أن يخدع الله ؛ فالله سبحانه وتعالى بصير بكل شيء .. ليس بالظاهر منك فقط .. ولكن بما تخفيه فى نفسك ولا تطلع عليه أحدا من خلق الله ، إنه يعلم كل شيء واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

( سورة إبراهيم )

وهكذا نطمئن إلى أن الله بصير بكل شيء ، وانظر إلى قوله جل جلاله : « يعملون » لتفهم أهمية العمل .

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

بعد أن بين الحق تبارك وتعالى كيف أن كل عمل فى منهج الله له أجر ، وأجر باق وثابت ومضاعف عند الله ومحفوظ بقدرة الله سبحانه .. أراد أن يرد على ادعاءات اليهود والنصارى الذين يحاولون أن يثيروا اليأس فى قلوب المؤمنين بالكذب والإحباط علهم ينصرفون عن الإسلام .. لذلك فقد أبلغنا الله سبحانه بما افتروه .

وإقرأ قوله تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » .. وفى هذه الآية الكريمة يظهر التناقض بين أقوال اليهود والنصارى .. ولقد أوردنا كيف أن اليهود قد قالوا « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا » .. وقالت النصارى : « لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا » .. والله سبحانه وتعالى يفضح التناقض فى آية ستأتى فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾

( من الآية ١١٣ سورة البقرة )

ومعنى ذلك أنهم تناقضوا فى أقوالهم ، فقالت النصارى:إنهم سيدخلون الجنة وحدهم ، وقالت اليهود القول نفسه . ثم قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا أو نصرانيا .. ثم قالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء .

ويقول الناس إذا كنت كذوبا فكن ذكورا ، ذلك أن الذى يكذب تتناقض أقواله لأنه ينسى مادام قد قال غير الحقيقة ، ولذلك تجد أن المحقق أو القاضى يظل يسأل

المتهم أسئلة مختلفة . . حتى تتناقض أقواله فيعرف أنه يكذب . . فأنت إذا رويت الواقعة كما حدثت فإنك ترويها مائة مرة دون أي خلاف في التفاصيل.ولكنك إذا كذبت تتناقض مع نفسك . . والله سبحانه وتعالى يقول : « تلك أمانيهم » . . ما هي الأماني ؟ . . هي أن تعلق نفسك بأمنية وليس لهذه الأمنية سند من الواقع يوصلك إلى تحقيق هذه الأمنية . . ولكن إذا كان التمني قائما على عمل يوصلك إلى تحقيق الأمنية فهذا شيء آخر .

بعض الناس يقول التمني وإن لم يتحقق فإنه يروّح عن النفس . . فقد ترتاح النفس عندما تتعلق بأمل كاذب وتعيش أياما في نوع من السعادة وإن كانت سعادة وهمية . . نقول إن الصدمة التي ستلحق بالإنسان بعد ذلك ستدمره . . ولذلك لا يكون في الكذب أبدا راحة . . فأحلام اليقظة لا تتحقق لأنها لا تقوم على أرضية من الواقع وهي لا تعطي الإنسان إلا نوعا من بعد عن الحقيقة . . ولذلك يقول الشاعر :

مُنَى إنْ تَكُنْ حقاً تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى    وَإلاّ فَقَدْ عِشْنَا بِهاَ زَمَنًا رَغَدَا

يعني الأماني لو كانت حقيقة أو تستند إلى الحقيقة فإنها أحسن الأماني لأنها تعيش معك . . فإن لم تكن حقيقة يقول الشاعر :

فقد عشنا بها زمنا رغدا

أماني من ليلى حسان كأنما    سقتنا بها ليلى على ظمأ بردا

وقوله تعالى : « تلك أمانيهم » تبين لنا أن الأماني هي مطامع الحمقى لأنها لا تتحقق . . والحق سبحانه يقول : « قل هاتوا برهانكم » . . ما هو البرهان ؟ . . البرهان هو الدليل . . ولا تطلب البرهان إلا من إنسان وقعت معه في جدال واختلفت وجهات النظر بينك وبينه . . ولا تطلب البرهان إلا إذا كنت متأكداً أن محدثك كاذب . . وأنه لن يجد الدليل على ما يدعيه .

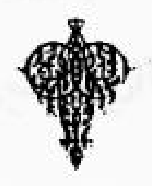
هب أن شخصا ادعى أن عليك مالا له . . وطلب منك أن تعيده إليه وأنت لم تأخذ منه مالا . . في هذه الحالة تطلب منه تقديم الدليل . . ( فالكمبيالة ) التي

كتبتها له أو الشيك أو إيصال الأمانة . . وأضعف الإيمان أن تطلب منه شهودا على أنك أخذت منه المال . . ولكن قبل أن تطالبه بالدليل . . يجب أن تكون واثقا من نفسك وأنه فعلا يكذب وأنك لم تأخذ منه شيئا .

إذن فقول الحق سبحانه : « هاتوا برهانكم » . . كلام من الله يؤكد أنهم كاذبون . . وأنهم لو أرادوا أن يأتوا بالدليل . . فلن يجدوا فى كتب الله ولا فى كلام رسله مايؤكد مايدعونه ، وإن أضافوه يكن هذا افتراء على الله ويكن هناك الدليل الدامغ على أن هذا ليس من كلام الله ولكنه من إفتراءاتهم .

إذن فليس هناك برهان على ما يقولونه . . ولو كان هناك برهان ولو كان فى هذا الكلام ولو جزءا من الحقيقة . . ما كان الله سبحانه وتعالى يطالبهم بالدليل .

إذن لا تقول هاتوا برهانكم إلا إذا كنت واثقا أنه لا برهان على ما يقولون ؛ لأنك رددت الأمر إليه فيما يدعيه . . وهو يجب أن يثبته ويفعل كل شىء فى سبيل الحصول على برهان . . ولا يمكن أن يقول الله : « هاتوا برهانكم » . . إلا وهو سبحانه يعلم أنهم يكذبون . . ولذلك قال : « إن كنتم صادقين » . . أى إن كنتم واثقين من أن ما تقولونه صحيح ، لأن الله يعرف يقينا انكم تكذبون .



﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

بعد أن بين لنا الله تبارك وتعالى كذب اليهود وطالبهم بالدليل على ما قالوه من أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى جاء بحقيقة القضية ليخبرنا جل جلاله من الذى سيدخل الجنة . . فقال : « بلى » . . وعندما تقرأ : « بلى » اعلم انها حرف جواب ولابد أن يسبقها كلام ونفى . . فساعة يقول لك إنسان ليس لى عليك دين . . إذا قلت له نعم فقد صدقت أنه ليس عليه دين . . ولكن إذا قلت بلى فذلك يعنى أن عليه دينا وأنه كاذب فيما قاله . . إذن بلى تأتى جوابا لتثبت نفى ما تقدم .

هم قالوا « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » . . عندما يقول الله لهم بلى فمعنى ذلك أن هذا الكلام غير صحيح . . وأنه سيدخلها غير هؤلاء . . وليس معنى أنه سيدخلها غير اليهود والنصارى . . أن كل يهودى وكل نصرانى سيدخل الجنة . . لأن الله سبحانه وتعالى قد حكم حينما جاء الإسلام بأن الذى لا يسلم لا يدخل الجنة . . واقرأ قوله جل جلاله :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى . . أنه لن يدخلها اليهود ولا النصارى . . لأن القرآن أزلى . . ما معنى أزلى ؟ . . أى أنه يعالج القضايا منذ بداية الخلق وحتى يوم القيامة . . فالقرآن كلام الله تبارك وتعالى . . فلو أنه قال لن يدخل الجنة إلا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لكان فى هذا تجاوزٌ . . لأن هناك من آمن بموسى وقت رسالته وعاصره واتبعه وحسن دينه ومات قبل أن يدرك محمدا عليه الصلاة

والسلام .. فهل هذا لا يدخل الجنة ويجازى بحسن عمله .. وهناك من النصارى من آمن بعيسى وقت حياته .. وعاصره ونفذ تعاليمه ومنهجه ثم مات قبل أن يُبْعَثَ محمدٌ عليه الصلاة والسلام .. أهذا لن يدخل الجنة ؟ .. لا .. يدخل وتكون منزلته حسب عمله ويجازى بأحسن الجزاء .. ولكن بعد أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الإسلام ونزل القرآن ، فكل من لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة .. بل ولن يراها .. ولذلك جاء كلام الله دقيقا لم يظلم أحدا من خلقه .

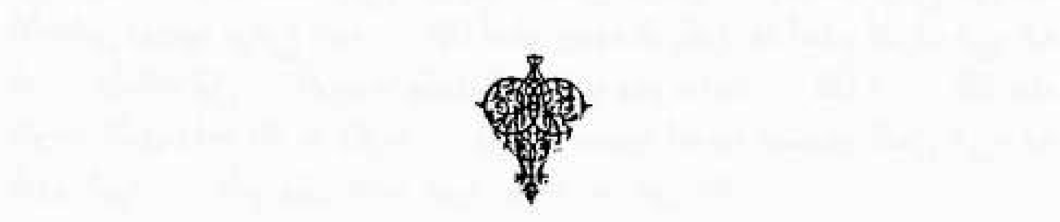
إذن فقوله تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » .. أى لا يدخل الجنة إلا من أسلم وجهه لله وهو محسن .. فقد يسلم واحد وجهه لله ويكون منافقا يظهر غير ما يبطن .. نقول إن المنافقين لم يكونوا محسنين ولكنهم كانوا مسيئين .. لأن لهم شخصيتين شخصية مؤمنة أمام الناس وشخصية كافرة فى الحقيقة أو فى قلوبهم .

قوله تعالى : « من أسلم وجهه لله » تدلنا على أن كل شىء أسلم لله لأن الوجه هو أشرف شىء فى الإنسان .. فيه التمييز وفيه السمة وفيه التشخص وهو أعلى ما فى الجسم .. وحينما عرفوا الإنسان قالوا حيوان ناطق أى حيوان مفكر .. وقال بعضهم حيوان مستوى القامة يعنى قامته مرفوعة .. والقامة المرفوعة على بقية الجسم هى الوجه .. والإنسان مرفوع على بقية أجناس الأرض .. إذن هو مرفوع على بقية الأجناس ووجهه مرفوع عليه .. فإذا أسلم وجهه لله يكون قد أسلم أشرف شىء فيه لله .. ولذلك قيل .. أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد .. لماذا ؟ .. لأنه جاء بالوجه الذى رفعه الله به وكرمه .. وجعله مساويا لقدميه ليستوى أكمل شىء فيه بأدنى شىء .. فلم يبق عنده شىء يختال به على الله .

الحق سبحانه وتعالى يقول : « فله أجره عند ربه » .. كلمة «أجره عند ربه » .. دلت على أن الله لم يجعلنا مقهورين .. ولكنه كلفنا وجعلنا مختارين أن نفعل أو لا نفعل .. فإن فعلنا فلنا أجر .. ولأن التكليف من الله سبحانه وتعالى فالمنطقى أن يكون الأجر عند الله .. وألا يوجد خوف أو حزن .. لأن الخوف يكون من شىء سيقع .. والحزن يأتى على شىء قد وقع .. ولا هذه ولا تلك تحدث عندما يكون أجرنا عند الله .

ان الإنسان حين يكون له حق عند مساويه . . فربما يخاف أن ينكر المساوى هذا الحق أو يطمع فيه ، أو يحتاج إليه فيدعى عدم أحقيته فيه ، ولكن الله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين . . ولذلك فهو لا يطمع فيما فى أيدينا من خير لأنه من عنده . . ولا يطمع فيما معنا من مال لأن عنده خزائن السموات والأرض .

الله سبحانه لا ينكر حقا من حقوقنا لأنه يعطينا من فضله ويزيدنا . . ولذلك فإن ما عند الله لا خوف عليه بل هو يضاعَف ويزداد . . وما عند الله لا حزن عليه . . لأن الإنسان يحزن إذا فاته خير . . ولكن ما عند الله باق لا يفوتك ولا تفوته . . فلا يوجد شيء عند الله سبحانه وتعالى تحزن عليه لأنه فات . . ولذلك كان قول الحق سبحانه وتعالى : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . . أدق ما يمكن أن يقال عن حالة المؤمنين فى الآخرة . . أنهم يكونون فرحين بما عند الله لا خوف عندهم ولا حزن .



﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

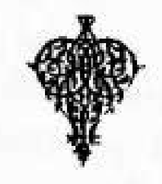
نقول إن أصدق ما قاله اليهود والنصارى . . هو أن كل طائفة منهم اتهمت الأخرى بأنها ليست على شيء . . فقال اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء . . والعجيب إن الطائفتين أهل كتاب . . اليهود أهل كتاب والنصارى أهل كتاب . . ومع ذلك كل منهما يتهم الآخر بأنه لا إيمان له وبذلك تساوى مع المشركين .

الذين يقولون إن أهل الكتاب ليسوا على شيء . . أى ان المشركين يقولون اليهود ليسوا على شيء والنصارى ليسوا على شيء . . واليهود يقولون المشركون ليسوا على شيء والنصارى ليسوا على شيء . . ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » . . وبذلك أصبح لدينا ثلاث طوائف يواجهون الدعوة الإسلامية . . طائفة لا تؤمن بمنهج سماوى ولا برسالة إلهية وهؤلاء هم المشركون . . وطائفتان لهم إيمان ورسل وكتب هم اليهود والنصارى . . ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » . . أى الذين لا يعلمون دينا ولا يعلمون إلها ولا يعلمون أى شيء عن منهج السماء . . اتحدوا فى القول مع اليهود والنصارى وأصبح قولهم واحدا .

وكان المفروض أن يتميز أهل الكتاب الذين لهم صلة بالسماء وكتب نزلت من الله ورسل جاءتهم للهداية . . كان من المفروض أن يتميزوا على المشركين . . ولكن تساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . . وهذا معنى قوله تعالى : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » . . ومادامت الطوائف الثلاث قالوا على بعضهم نفس القول . . يكون حجم الخلاف بينهم كبيرا وليس صغيرا . . لأن كل واحد منهم يتهم الآخر انه لا دين له .

هذا الخلاف الكبير من الذى يحكم فيه ؟ لا يحكم فيه إلا الله .. فهو الذى يعلم كل شيء .. وهو سبحانه القادر على أن يفصل بينهم بالحق .. ومتى يكون موعد هذا الفصل أو الحكم ؟ أهو فى الدنيا ؟ لا .. فالدنيا دار اختبار وليست دار حساب ولا محاسبة ولا فصل فى قضايا الإيمان .. ولذلك فإن الحكم بينهم يتم يوم القيامة وعلى مشهد من خلق الله جميعا .

والحق سبحانه وتعالى يقول : « فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .. ومعنى الحكم هنا ليس هو بيان المخطىء من المصيب فالطوائف الثلاث مخطئة .. والطوائف الثلاث فى إنكارها للإسلام قد خرجت عن إطار الإيمان .. ويأتى الحكم يوم القيامة ليبين ذلك ويواجه المخالفين بالعذاب .



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

فالحق جل جلاله بعد أن بين لنا موقف اليهود والنصارى والمشركين من بعضهم البعض ومن الإسلام ، وكيف ان هذه الطوائف الثلاث تواجه الإسلام بعداء و يواجه بعضها البعض باتهامات . . فكل طائفة منها تتهم الأخرى انها على باطل . . أراد أن يحذرهم تبارك وتعالى من الحرب ضد الإسلام ومحاربة هذا الدين فقال : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » . . مساجد الله هى الأماكن التى يتم فيها السجود لله . . والسجود علامة الخضوع وعلامة العبودية كما بينا . . لأنك تضع أشرف شىء فيك وهو وجهك على الأرض خضوعا لله وخشوعا له .

قبل الإسلام كان لا يمكن أن يصلى أتباع أى دين إلا فى مكان خاص بدينهم . . مكان مخصص لا تجوز الصلاة إلا فيه . . ثم جاء الله بالإسلام فجعل الأرض كلها مسجدا وجعلها طهورا . . ومعنى ان تكون الأرض كلها مسجداً هو توسيع على عباد الله فى مكان التقائهم بربهم وفى أماكن عبادتهم له حتى يمكن أن تلتقى بالله فى أى مكان وفى أى زمان . . لأنه لا يحدد لك مكانا معينا لا تصح الصلاة إلا فيه . . وأنت إذا أردت أن تصلى ركعتين لله بخلاف الفرض . . مثل صلاة الشكر أو صلاة الاستخارة أو صلاة الخوف . . أو أى صلاة من السنن التى علمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإنك تستطيع أن تؤديها فى أى وقت . . فكأنك تلتقى بالله سبحانه أين ومتى تحب .

ومادام الله تبارك وتعالى أنعم على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بأن جعل لهم الأرض مسجدا طهورا فإنما يريد أن يوسع دائرة التقاء العباد بربهم . .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

( أعطيتُ خمسا لم يُعطَهُن أحد من الأنبياء قبلى . نُصرْتُ بالرعب مسيرةَ شهر ، وجُعِلَتْ لِىَ الأرضُ مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأُحِلَّتْ لِىَ الغنائمُ ولم تحل لأحدٍ قبلى وأُعْطِيتُ الشفاعةَ وكان النبى يُبْعَثُ إلى قومه خاصة وَبُعِثْتُ إلى الناس عامة )[1] .

ولكن لماذا خص الله أمة محمد بهذه النعمة ؟ لأن الإسلام جاء على موعد مع ارتقاءات العقل وطموحات الدنيا . . كلما ارتقى العقل فى علوم الدنيا كشف قوانين وتغلب على عقبات . . وجاء بمبتكرات ومخترعات تفتن عقول الناس . . وتجذبهم بعيدا عن الدين فيعبدون الأسباب بدلا من خالق الأسباب .

يريد الحق تبارك وتعالى أن يجعل عبادتهم له ميسرة دائما حتى يعصمهم من هذه الفتنة . . وهو جل جلاله يريدنا حين نرى التليفزيون مثلا ينقل الأحداث من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن القمر إلى الأرض فى نفس لحظة حدوثها . . أن نسجد لله على نعمه التى كشف لنا عنها فى أى مكان نكون فيه . . فخصائص الغلاف الجوى موجودة فى الكون منذ خلق الله السموات والأرض . . لم يضعها أحد من خلق الله فى كون الله هذه الأيام . . ولكنها خلقت مع خلق الكون . . وشاء الله ألا ندرك وجودها ونستخدمها إلا هذه الأيام . . فلابد أن نسجد لله شكرا على نعمه التى كشفت لنا أسرارا فى الكون لم نكن نعرفها . . وهذه الأسرار تبين لنا دقة الخلق وتقربنا إلى قضايا الغيب .

فإذا قيل لنا أن يوم القيامة سيقف خلق الله جميعا وهم يشاهدون الحساب . . وإن كل واحد منهم سيرى الحساب لحظة حدوثه . . لا نتعجب ونقول هذا مستحيل . . لأن أحداث العالم الهامة نراها الآن كلها لحظة حدوثها ونحن فى منتهى الراحة . . ونحن جالسون فى منازلنا أمام التليفزيون . . أى اننا نراها جميعا فى وقت واحد دون جهد . . فإذا كانت هذه هى قدرات البشر للبشر . . فكيف بقدرات خالق البشر للبشر ؟ .

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى عن جابر

عندما نرى أسرار قوانين الله فى كونه . . لابد أن نسجد لعظمة الخالق سبحانه وتعالى ، الذى وضع كل هذا العلم والإعجاز فى الكون . . وهذا السجود يقتضى أن تكون الأرض كلها مساجد حتى يمكنك وأنت فى مكانك أن تسجد لله شكرا . . ولا تضطر للذهاب إلى مكان آخر قد يكون بعيدا أو الطريق إليه شاقا فينسيك هذا شكر الله والسجود له . . فالله سبحانه وتعالى شاء أن يوسع على المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم دائرة الالتقاء بربهم ، لأن هناك أشياء ستأتى الرسالة المحمدية فى موعد كشفها لخلق الله . . وكلما انكشف سر من أسرار الوجود إغتر الإنسان بنفسه . . ومادام الغرور قد دخل إلى النفس البشرية . . فلابد أن يجعل الله فى الكون ما يعدل هذا الغرور .

لقد كانت الأمور عكس ذلك قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . . كانت الأمور فطرية فإذا امتنعت الأمطار ونضبت العيون والآبار . . لم يكن أمامهم إلا أن يتوجهوا إلى السماء بصلاة الاستسقاء . . وكذلك فى كل أمر يصعب عليهم مواجهته . . ولكن الآن بعد أن كشف الله لخلقه عن بعض أسراره فى كونه . . أصبحت هناك أكثر من وسيلة يواجه بها الإنسان عددا من أزمات الكون . . هذه الوسائل قد جعلت البشر يعتقدون انهم قادرون على حل مشكلاتهم . . بعيدا عن الله سبحانه وتعالى وبجهودهم الخاصة . . فبدأ الاعتماد على الخلق بدلا من الإعتماد على الحق . . ولذلك نزل قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾

( الآية ٣٥ ومن الآية ٣٦ سورة النور )

ما هى هذه البيوت التى يرى فيها الناس نور الله تبارك وتعالى ؟ هى المساجد . . فَعُمَّارُ المساجد وزوارها الدائمون على الصلاة فيها هم الذين يرون نور الله . . فإذا أتى قوم يجترئون عليها ويمنعون أن يذكر اسم الله فيها . . فمعنى ذلك ان المؤمنين القائمين على هذه المساجد ضعفاء الإيمان ضعفاء الدين تجرأ عليهم أعداؤهم . . لأنهم لو كانوا أقوياء ما كان يجرؤ عدوهم على أن يمنع ذكر إسم الله فى مساجد الله . . أو أن يسعى إلى خرابها فتهدم ولا تقام فيها صلاة الجمعة . . ولكن ساعة يوجد من يخرب بيتا من بيوت الله . . يهب الناس لمنعه والضرب على يده يكون الإيمان قويا . . فإن تركوه فقد هان المؤمنون على عدوهم . . لماذا ؟ لأن الكافر الذى يريد أن يطفىء مكان إشعاع نور الله لخلقه . . يعيش فى حركة الشر فى الوجود التى تقوى وتشتد كلما استطاع غير المؤمنين أن يمنعوا ذكر اسم الله فى بيته وأن يخربوه .

وقول الحق سبحانه وتعالى : « أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين » . .

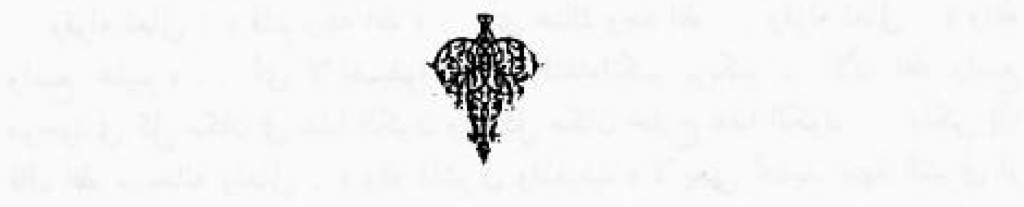
أى ان هؤلاء الكفار ما كان يصح لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين أن يفتك بهم المؤمنون من أصحاب المسجد والمصلين فيه . . فإذا كانوا قد دخلوا غير خائفين . . فمعنى ذلك أن وازع الإيمان فى نفوس المؤمنين قد ضعف .

قوله تعالى : « ومن أظلم » . . معناه انه لا يوجد أحد أظلم من ذلك الذى يمنع مساجد الله أن يذكر فيها إسمه . . أى ان هذا هو الظلم العظيم . . ظلم القمة . . وقوله تعالى : « وسعى فى خرابها » . . أى فى إزالتها أو بقائها غير صالحة لأداء العبادة . . والسعى فى خراب المسجد هو هدمه .

ويختم الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله : « لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » . . أى لن يتركهم الله فى الدنيا ولا فى الآخرة . . بل يصيبهم فى الدنيا خزى . . والخزى هو الشىء القبيح الذى تكره أن يراك عليه الناس . . قوله تعالى : « لهم فى الدنيا خزى » . . هذا مظهر غيرة الله على بيوته . . وانظر إلى ما أذاقهم الله فى الدنيا بالنسبة ليهود المدينة الذين كانوا يسعون فى خراب مساجد الله . . لقد أخذت أموالهم وطردوا من ديارهم . . هذا حدث . . وهذا معنى قوله تعالى الخزى فى الدنيا . . أما فى الآخرة فإن أعداء الله سيحاسبون

حسابا عسيرا لتطاولهم على مساجد الله سبحانه ، ولكن فى الوقت نفسه فإن المؤمنين الذين سكتوا على هذا وتخاذلوا عن نصرة دين الله والدفاع عن بيوت الله .. سيكون لهم أيضا عذاب أليم .

انني أحذر كل مؤمن أن يتخاذل أو يضعف أمام أولئك الذين يحاولون أن يمنعوا ذكر الله فى مساجده .. لأنه فى هذه الحالة يكون مرتكبا لذنبهم نفسه وربما أكثر .. ولا يتركه الله يوم القيامة بل يسوقه إلى النار .



﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١١٥

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى جزاء الذين يخربون مساجد الله ويهدمونها .. ويمنعون أن يذكر فيها اسمه والعذاب الذى ينتظرهم فى الآخرة أراد أن يذكرنا بأن تنفيذ هذا على مستوى تام وكامل عملية مستحيلة لأن الأرض كلها مساجد .. وتخريبها معناه أن تخرب الأرض كلها .. ولأن الله تبارك وتعالى موجود فى كل مكان فأينما كنتم فستجدون الله مقبلا عليكم بالتجليات .

وقوله تعالى : « فثم وجه الله » .. أى هناك وجه الله .. وقوله تعالى : « والله واسع عليم » .. أى لا تضيقوا بمكان التقاءاتكم بربكم ، لأن الله واسع موجود فى كل مكان فى هذا الكون وفى كل مكان خارج هذا الكون .. ولكن إذا قال الله سبحانه وتعالى : « ولله المشرق والمغرب » لا يعنى تحديد جهة الشرق أو جهة الغرب فقط .. ولكنه يتعداها إلى كل الجهات شرقها وغربها .. شمالها وجنوبها والشمال الشرقى والجنوب الغربى وكل جهة تفكر فيها .

ولكن لماذا ذكرت الآية الشرق والغرب فقط ؟ لأن بعد ذلك كل الجهات تحدد بشروق الشمس وغروبها .. فهناك شمال شرقى وجنوب شرقى وشمال غربى وجنوب غربى .. كما إن الشرق والغرب معروف بالفطرة عند الناس .. فلا أحد يجهل من أين تشرق الشمس ولا إلى أين تغرب . فأنت كل يوم ترى شروقا وترى غروبا.

الله سبحانه وتعالى حين يقول : « ولله المشرق والمغرب » فليس معناها حصر الملكية لهاتين الجهتين ولكنه ما يعرف بالاختصاص بالتقديم .. كما تقول بالقلم

كتبت وبالسيارة أتيت . . أى ان الكتابة هى خصوص القلم والاتيان خصوص السيارة . . وهذا ما يعرف بالاختصاص . . فهذا مختص بكذا وليس لغيره شىء فيه . . ولذلك فإن معنى : « ولله المشرق والمغرب » . . ان الملكية لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد . . وتغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ليس معناه ان الله تبارك وتعالى فى بيت المقدس والاتجاه بعد ذلك إلى الكعبة ليس معناه ان الله جل جلاله فى الكعبة .

إن توحيد القبلة ليس معناه أكثر من أن يكون للمسلمين اتجاه واحد فى الصلاة . . وذلك دليل على وحدة الهدف . . فيجب أن تفرق بين اتجاه فى الصلاة واتجاه فى غير الصلاة . . اتجاه فى الصلاة نكون جميعا متجهين إلى مكان محدد إختاره الله لنا لنتجه إليه فى الصلاة . . والناس تصلى فى جميع أنحاء العالم متجهة إلى الكعبة . . الكعبة مكانها واحد لا يتغير . . ولكن اتجاهنا إليها من بقاع الأرض هو الذى يتغير . . فواحد يتجه شمالا وواحد يتجه جنوبا وواحد يتجه شرقا وواحد يتجه غربا . . كل منا يتجه اتجاها مختلفا حسب البقعة التى يوجد عليها من الأرض . . ولكننا جميعا نتجه إلى الكعبة رغم اختلاف وجهاتنا إلا اننا نلتقى فى اتجاهنا إلى مكان واحد .

الله جل جلاله يريدنا أن نعرف اننا إذا قلنا : «ولِلهِ المشرقُ » فلا نظن ان المشرق إتجاه واحد بل إن المشرق يختلف باختلاف المكان . . فكل مكان فى الأرض له مشرق وله مغرب . . فإذا أشرقت الشمس فى مكان فإنها فى نفس الوقت تغرب فى مكان آخر . . تشرق عندى وتغرب عند غيرى . . وبعد دقيقة تشرق عند قوم وتغرب عند آخرين . . فإذا نظرت إلى الشرق وإلى الغرب بالنسبة لشروق الشمس الظاهرى وغروبها . . تجد ان المشرق والمغرب لا ينتهيان من على سطح الأرض . . فى كل دقيقة شروق وغروب .

وقوله تعالى : « إن الله واسع عليم » . . أى يتسع لكل ملكه لا يشغله شىء عن شىء . . ولذلك عندما سئل الإمام على كرم الله وجهه . . كيف يحاسب الله الناس جميعا فى وقت واحد؟ قال كما يرزقهم جميعا فى وقت واحد . .

إذن فالله لا يشغله شىء عن شىء . . ولا يحتاج فى عمله إلى شىء . . إنما عمله « كن فيكون » .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى ان له كل شيء في الكون لا يشغله شيء عن شيء .. أراد أن يرد على الذين حاولوا أن يجعلوا لله معينا في ملكه .. الذين قالوا إتخذ الله ولدًا .. الله تبارك وتعالى رد عليهم انه لماذا يتخذ ولدا وله ما فى السموات والأرض كل له قانتون .. وجاء الرد مركزا فى ثلاث نقاط .. قوله تعالى : « سبحانه » أى تنزه وتعالى أن يكون له ولد .. وقوله تعالى : « له ما فى السموات والأرض » .. فإذا كان هذا ملكه وإذا كان الكون كله من خلقه وخاضعا له فما حاجته للولد ؟

وقوله سبحانه : « كل له قانتون » .. أى كل من فى السموات والأرض عابدون لله جل جلاله مقرون بألوهيته .

قضية إن لله سبحانه وتعالى ولداً جاءت فى القرآن الكريم تسع عشرة مرة ومعها الرد عليها .. ولأنها قضية فى قمة العقيدة فقد تكررت وتكرر الرد عليها مرة بعد أخرى .. وإذا نظرت للذين قالوا ذلك تجد ان هناك أقوالا متعددة .. هناك قول قاله المشركون .. واقرأ القرآن الكريم :

﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

( سورة الصافات )